﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 172 - 173]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُما:

لَمَّا ذَكرَ بَيانُ اللهِ في الآياتِ السَّابقةِ، ما حَلَّ بالمسلِمينَ في غَزوةِ أُحُد، مِنَ الهَزيمةِ بَعْدَ النَّصر؛ بِسببِ عِصيانِ الرُّماةِ لِأَمْرِ رَسولِ اللهِ ﷺ، لهم بالثَّباتِ في أماكِنِهم، وعَدمِ المُضِيِّ عنها مَهْما كانتْ نَتيجةُ المَعركَةِ وأَحوالِها، وما أدّاهُ ذلكَ مِنَ اسْتشهادِ عَديدٍ مِنْ صَحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، الَّذينَ عَرَضتْ لنا الآياتُ ما حَباهُمُ اللهُ به مِنَ الكَرامةِ الفائقة، والنّعيمِ المُقيم، جاءَنَا بِخَبَرِ صَحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، الّذينَ خَرجُواْ - على ما بِهِمْ مِنْ جِراحٍ - اسْتجابةً لِمَا نَدبَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ، إليهِ مِنَ الخُروج، لِيُعاوِدُواْ الكَرَّةَ في طَلبِ المشْركينَ وقَتْلِهِمْ، لا يَخافُونَ في اللهِ أَحداً مِنْ خَلْقه، ولِسانُ مَقالِهِمْ وحالِهِمْ: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، فأَلْقَى اللهُ الرُّعْبَ في قُلوبِ المشركِينَ؛ فَرَجَعُواْ إلى مَكَّةَ مُنْخَذِلينَ هائمين[1]، وعادَ المؤمِنُونَ إلى المدينةِ المُنَوَّرَةِ سَالمينَ غانمينَ، بأَجرِ غَزوةٍ تَامّة.

استدراكُ الهزيمةِ بالاستجابةِ للهِ ورسوله، والاعتمادِ عليه في تتبُّعِ فُلولِ الشّرك

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾: خَفضٌ على صفةِ المؤمنِيَن، تَقديرُهُ: وإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المؤمنِينَ، المُسْتجِيبينَ للهِ وللرّسولِ، ومَعنَى (الاسْتجابة):

(1) البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: (4077)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2418)، وابن إسحاق، السِّيرة النبوية: 3/44 - 45.

الإجَابةُ، والطّاعةُ[1]؛ ونظيرُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: 186]؛ أيْ: فَلْيُطِيعوني، "وقيل: والإجابة والاستجابة بمعنى واحد، يقال استجاب الله دعاءه. قال الشّاعر كعب بن سعد الغنويّ:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى *** فَلَم يسْتَجِبْه عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[2]

2) ﴿ٱلْقَرْحُ﴾: بالفَتحِ، الجِراحُ، وفيه لُغةٌ ثانيةٌ (القُرْحُ) بالضَّمِّ: أَلمُ الجِراحِ. وهو عضُّ السَّلاحِ، ونَحوُه ممَّا يَخرُجُ بالبَدَن[3]، ويقال القرح وهو الجراح، رجل قريح ومقروح، من قوم قراحى وقرحى، قال الشّاعر:

لَا يُسْلِمُونَ قَرِيحًا كَانَ وَسْطَهُمُ *** تَحْتَ العُجَاجِ وَلَا يَشْوُونَ مَنْ قُرِحُواْ[4]

3) ﴿ٱلنَّاسُ﴾: أرادَ بـ (النَّاس): نُعَيْم بن مَسعود، وهُوَ على هذا التَّأويلِ مِنَ العامّ الَّذي أُريدَ بِهِ الخَاصُّ، نَظيرُه قولُ اللّهِ تعالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النّساء: 54] يَعنِي مُحمَّداً وحدَه[5]، و"النّاس: قد يكون من الإنس ومن الجنّ، وأصله أناسٌ فخفّف، ولم يجعلواْ الألف واللّام فيه عوضًا من الهمزة المحذوفة، لأنّه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوّض منه، في قول الشّاعر:

إِنَّ الْمَنَايَا يَطَّلِعْ***نَ عَلَى الْأُنَاسِ الْآمِنِينَا[6]

وحكى سيبويه: (النّاسُ النَّاسُ)، أي النّاس بكلّ مكان، وعلى كلّ حال؛ "وقوله:

بِلَادٌ بِهَا كُنَّا، وَكُنَّا نُحِبُّهَا *** إِذِ النَّاسُ نَاسٌ، وَالْبِلَادُ بِلَادُ[7]

فهذا على المعنى دون اللّفظ، أي(إذ النّاس أحرارٌ، والبلاد مخصبة)، ولولا هذا الغرض، وأنّه مراد معتزم، لم يجز شيء من ذلك، لتعرّي الجزء الأخير من زيادة

(1) ابن عادل، اللُّباب: 6/55، والعُكبَرِي، التبيان: 1/158.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (جَوَبَ).
(3) الرّازي، مختار الصّحاح، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (قرَحَ).
(4) ابن دريد، مختار الصّحاح، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (قرَحَ)، والبيت للمتنخل الهذلي، القالي، الأمالي: 1/14.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 6/138، والواقديّ، المغازي: 1/384 - 391.
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (نوس).
(7) ابن عبد البَرّ، بهجة المجالس وأنس المجالس: 1/168، وابن سيده، المحكم: 8/552.

الفائدة عن الجزء الأوّل"[1] والمرادُ بـ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾: أبو سُفيانَ وأصحابُه، فقدْ حَشَدواْ حُشودَهمْ لِلمَعركة، فقيل للمؤمنين: خافوهُمْ واحْذَرُوهم، فلم يزدهم ذلكَ إلّا تَصديقًا، ويَقينًا، وجَراءةً، وقُوَّة؛ وفيه دَليلٌ على أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقُصُ[2].

4) ﴿حَسۡبُنَا﴾: و(حَسْبُ)؛ أيْ: كافٍ، وهو اسمٌ جامدٌ، بمعنَى الوَصْف، ليس له فِعلٌ؛ ومنه اسْمُه تعالَى: الحَسيبُ، فهو فَعيلٌ بمعنَى مُفْعِلٌ، وقيل: الإحْسابُ: هو الإكْفاءُ، وقيل: هو اسْمُ فِعْلٍ بمعنَى كَفَى، وقولُهم: بَحَسْبِكَ دِرْهَمٌ، يُنافي دَعْوى كَوْنِه اسْمَ فعلٍ؛ لأنّ أسماءَ الأفعالِ لا تدخُلُ عليها العواملُ. وقيل: هو مصدرٌ، وهو مِنَ الأسماءِ اللّازمةِ للإضافةِ دُونَ مَعْنى، فَيُبْنَى على الضَّمِّ، مِثْلُ: قَبْلُ وبَعْدُ[3]. و﴿حَسۡبُنَا ٱللَّـهُ﴾؛ أيْ: كافِينا اللهُ، وثِقَتُنا باللهِ، والنُّونُ والأَلِفُ مَخفوضَتانِ بالإضافَة، كقولِكَ: حَسْبُ زيدٍ دِرْهَمٌ؛ لأنّ حَسْبَه اسْمٌ، وإنْ كانَ في مذهبِ الفِعلِ لا تَرَى ضَمّةَ الباءِ منهُ[4]، قال الشَّاعِرُ[5]:

فَتَملأُ بَيْتَنا أَقْطاً وسَمْناً *** وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وريُّ[6]

5) ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ أيْ: المَوكولُ إليهِ الأُمورُ، فَعيلٌ بمعْنَى مَفْعولٌ، فَنِعْمَ الموكولُ إليهِ أمرُنا[7]؛ أيْ: نِعْمَ الوكيلُ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالَى؛ وتأتي بمَعنَى: المانِع[8]؛ نَظيرُهُ قولُهُ تَعالَى: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ [الإسراء: 86]، أيْ: مانعاً، وهو كما في قولِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥﴾ [الإسراء: 65].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

لَمَّا رَجَعَ النّبيُّ ﷺ مِنْ غَزوَةِ أُحُدٍ إلى المدينةِ، نَدَبَ أصحابَهُ إلى الخُروجِ؛ فَخَرَجُواْ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (أنس).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/601، والشَّوكاني، فتح القدير: 1/649.
(3) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (حَسَبَ)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/170.
(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/481، والسَّمين، الدُّر المصون: 1/355، 3/490.
(5) هو امرؤ القيسِ بنُ حُجرِ بنِ الحارثِ الشّاعرُ الجاهليُّ.
(6) ديوان امرئ القيس، ص: 49.
(7) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/481، والشّوكانّي، فتح القدير: 1/469.
(8) البيهقيّ، الأسماء والصفات: 1/211 - 213.

صمودُ المسلمين ضدّ كلّ تهديدٍ وتخويف، ثقةٌ بالله الحفيظ اللّطيف

-على ما بِهِمْ مِنْ جِراحٍ- اسْتجابةً للّهِ ولرسوله ﷺ فوَصَلُوا إلى (حَمْراءِ الأَسَدِ)، فجاءَهم نُعَيْمُ بْنُ مَسْعودٍ الأَشْجَعِيُّ الغَطَفَانيُّ، ولم يكنْ قَدْ أَسلمَ، وقالَ لهمْ: "إنَّ أبا سُفيانَ وأَصحابَهُ، قَدْ حَشَدُوا جَمعَهُمْ، وهَمُّوا باسْتِئصالِكُم". تَخويفًا لهم وتَرهيبًا، فَلمْ يَزِدْهمْ ذلكَ إلّا إيمَانًا باللّهِ، واتّكالًا عليهِ، وقالُوا: حَسْبُنا اللّهُ؛ فَهوَ كافِينَا كُلَّ ما أَهمَّنا، المفوَّضُ إليه تَدبيرُ عبادِه[1]، القَائمُ بِمَصالحِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نُكْتَةُ الْوَصْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾:

اسْتِجَابَةُ أَهْلِ الإِيمَانِ للهِ تَعَالَى وَالرَّسُولِ ﷺ وَصْفٌ كَاشِفٌ لَهُمْ

الاسمُ الموصولُ (الذينَ) مِنْ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ في محلِّ جرٍّ صفةٌ لـ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من قولِه تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ونُكْتَةُ الوصفِ: مدْحُهم وتفخيمُ شأنِهم، وهو وَصْفٌ كَاشِفٌ لا مُخَصِّصٌ؛ إذْ إنَّ واقعَ المؤمنينَ أنَّهم الذينَ اسْتَجَابُوا للّهِ تعالَى والرَّسُولِ.

ويجوزُ أن يكون (الذينَ) مبتدأً خبرُهُ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، أو خبرًا لمبتدأٍ محذوف، تَقديرُه: هُم[2].

و(مِنْ) في قوله تعالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ بيانيَّةٌ[3]؛ جِيءَ بها لبيانِ أنَّ وَصْفَي الإحسَانِ والتَّقْوَى وَصْفَانِ لَازِمَانِ لكلِّ مَنِ اسْتَجَابَ للّهِ تعَالَى والرَّسُولِ ﷺ.

دِلَالَةُ الاسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾:

﴿ٱلْقَرْحُ﴾ بِفَتحِ القافِ في لُغةِ قُرَيشٍ: الجُرْحُ، وبضمِّها في لُغةِ

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 1/648 - 649، والسّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 118.
(2) العكبري، التبيان: 1/158، والسّمين، الدُّر المصون: 3/487.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 1/480، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/600.

غيرِهم[1]، وقُرِئَ: بفتحِ القافِ، وقُرِئَ بضمِّها[2]، و﴿ٱلْقَرْحُ﴾ هُنَا مُستعمَلٌ في غيرِ حَقِيقتِهِ، وهو مجازٌ بالاسْتِعَارةِ للهزيمةِ الَّتي أصابتْهُم، ولذلكَ لم يُجمَعْ، فيُقال: القُرُوح، ووجهُ الاستعارَةِ أنَّ الهزيمةَ تُشبَّهُ بالثُّلْمَةِ والانْكسارِ، فَشُبِّهتْ هنا بالقَرْحِ حينَ يُصيبُ الجَسدَ، وهي استعارةٌ تصريحيَّةٌ أصليَّةٌ، ولا يَصِحُّ أنْ يُرادَ به الحقيقةُ؛ لأنَّ الجِراحَ التي تُصيبُ الجيشَ، لا يُعبأُ بها إذا كانَ مَعَها النَّصرُ[3].

الْـجِـرَاحُ الَّتِي تُصِيبُ الْجَيْشَ، لَا يُعْبَأُ بِهَا إِذَا كَانَ مَعَهَا النَّصْرُ

تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

قال اللّه سُبْحَانَه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: 140]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾؛ فقد ورد في كِلْتا الآيتينِ كلمةُ (القَرْح)، ولم ترد كلمة القَرْحِ في غيرهما، والفرقُ بين الآيتينِ: أنَّهُ قد أُسنِدَ المسُّ إلى القَرْحِ مرَّةً في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾، وأُسنِدَتِ الإصابةُ إلى القَرْحِ مرَّةً أخرَى في قوله تعالَى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾.

دِقَّـــةُ اخْـتِـيَـارِ الْأَلْفَاظِ الْمُنَاسِبَةِ لِسِيَاقَاتِهَا

وكِلْتَا الآيتينِ في الحديثِ عن يومِ أُحُدٍ، لكنَّ الآيةَ الأُوْلى فيها بيانُ النَّظيرِ بِنَظيرِه، والمقابَلِ بمقابِله، وَفيها تسليةٌ ومواساةٌ حكيمةٌ جليلةٌ لجماعةِ المؤمنينَ بقيادةِ رسولِ اللّه ﷺ؛ فإنْ كان قد مَسّكمْ جِراحٌ، ثمَّ هزيمةٌ في أُحُدٍ؛ فقد مسّ عَدُوَّكم كذلكَ جِراحٌ وهَزيمةٌ في بَدْرٍ.

واستُعْمِلَ الفعلُ (مَسَّ) في كِلْتَا المُقابَلَتَيْن؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ تسليةٍ ومواساةٍ وتَثْبيت، والمسُّ أقلُّ تمكُّنًا مِنَ الإصابةِ، وأقلُّ درجاتِها، فكان لفظُ المسِّ أنسَبَ.

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (قَرَحَ).
(2) بفتح القاف قراءة الجمهور، وبضمِّها: قراءة: حمزة، والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وخَلف، ينظر: محمد كريِّم راجح، القراءات العشر المتواترة، ص: 72.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/99.

وأمَّا في الآيةِ الثَّانيةِ؛ فالمَقامُ مَقامُ مَدحٍ ورَفعِ شَأنٍ وثَناءٍ لجماعةِ المؤمنين، الَّذين بالرَّغمِ مِنْ إصاباتِهمُ البالِغَة - مِنْ جِراحٍ ثمَّ هزيمةٍ مِنْ بَعدِ النّصر - اسْتجابُوا للّهِ ولرسولِه ﷺ؛ فلبُّوا نداءَ الإيمانِ باللّهِ ورسولِه ﷺ، لِلعَوْدِ والكَرِّ مرَّةً ثانيةً على أعداءِ اللّهِ وأعداءِ رسولِه ﷺ، فكانَ حقًّا أنْ تَظهرَ اسْتجابتُهم تلكَ في عَلْيائِها، مُقابِلَ ما أصابَهم حَقًّا مِنْ إثْخانِ الجِراحِ وآلامِ الهزيمةِ، ولذلك كانَ اسْتخدامُ فعلِ (أصابَهم) أجدرَ بالسِّياقِ مِنْ فعلِ (مسَّهُم).

سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عَمَّا قَبْلُ:

تَشَوُّفُ النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ إِلَى الْجَزَاءِ الْأُخْرَوِيِّ

إذا جُعِلَ قولُ اللّه تعالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ جملةً مستقلَّةً، فيكون فصْلُهَا عمَّا قبلَهَا لوقوعِهَا اسْتئنافًا بيانيًّا، و﴿مِنْهُمْ﴾ حالٌ مِنَ الضَّميرِ في ﴿أَحْسَنُواْ﴾[1]، ووجهُ الاستئنافِ البيانيِّ: أنَّ اللّه تعالى قال قبلُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾، فأورثَ ذلك في نَفْسِ المتلَقِّي سؤالًا، وهو: ما جزاءُ هؤلاءِ الذينَ استجابُوا للّه والرَّسولِ مع شدَّة حالِهم؟ فجاء الجواب: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ مُتَعَلَّقِ الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

الْإِحْسَانُ أَعْلَى مَرَاتِبِ الدِّين

تقديمُ مُتعلَّقِ الخبرِ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ على المبتدأ ﴿أَجْرٌ﴾ يُرادُ به: بيانُ أهمِّيّةِ المُخْبَرِ بِهِ، وعَظيمِ مكانتِه، وهو وصفُ الإحسانِ والتَّقوَى؛ تحريضًا للعبادِ علَى الانْدِرَاجِ في سِلْكِ المُحْسِنِين المتَّقين.

وفي تَقديمِ الإحسانِ على التّقْوَى في قوله سُبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ بيانُ سُمُوِّ درجتِه، وعُلُوِّ كَعبِه؛ إذْ لِلْمُقدَّمِ مزيَّةٌ

(1) العكبري، التبيان: 1/158، وصافي، الجدول: 4/375 - 376.

على غيرِهِ، وَالتَّقوَى وإن كانت أسمَى مَراتبِ عبادةِ اللّهِ تعالَى؛ فإنَّ الإحسانَ ذُرْوةُ الأمر كُلِّه، إذْ إنّ مراتِبَ الدِّينِ ثلاثة: الإسلامُ، ثُمَّ الإيمانُ، ثُمّ الإحسانُ، وحقيقةُ الإحسانِ كما قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: "أنْ تَعبُدَ اللّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ"[1].

سِرُّ تَنْكِيرِ ﴿أَجْرٌ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْعَمَلِ

أُورِدَ لفظُ الأجرِ نكرةً في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ ليَعُمَّ كُلَّ أجرٍ يخطُرُ في بالِ المُسلم، ووَجْهُ العموم فيها – وإن كانَت في سِيَاق الإثْبَات – أنَّ النَّكِرَة في سِيَاق الامْتِنَان تَعُمُّ.

وفي هذا التَّنكيرِ إشعارٌ بتعظيمِهِ مع عمومِ أفرادِهِ، وهو عظَمةٌ ذاتيَّةٌ، ثُمَّ أُكِّدت عظمَتُهُ بالوصفِ في قوله سُبحانَهُ: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أَثَرُ إِعْرَابِ الِاسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾:

الْمُسَارَعَةُ إِلَى الطَّاعَةِ مَعَ وُجُودِ الْمُثَبِّطِ أَعْظَمُ أَجْرًا

﴿ٱلَّذِينَ﴾ من قَول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ اسْمٌ موصولٌ مبنيٌّ في محلِّ نَصْبٍ مفعولٌ بهِ لفعلٍ مَحذوف، تَقديرُه: أَمدَحُ، فقدْ جاءَ الموصولُ في مَعرِضِ المَدحِ ومَقامِهِ الرّفيع. وحُقَّ أنْ يُمدَحَ مَنْ سَمِعَ مِنَ النّاسِ مَقالةَ التَّخويفِ والتَّثبيطِ عنِ الجهادِ في سبيلِ اللّه؛ فزادتْه إيمانًا.

ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ بدَلًا مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أو صفةً له، وإنّما جِيءَ بإعادةِ الموصولِ، دونَ أنْ تُعطَفَ الصِّلةُ على الصِّلةِ، اهتمامًا بشأنِ هذه الصِّلةِ الثّانية، حتّى لا تكونَ جُزءَ صِلَةٍ.

ويجوزُ أنْ يكونَ ابتداءَ كلامٍ مُسْتَأنَف، فيكونَ مبتدأً وخبرُهُ قولُه:

(1) البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: (50)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (9).

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾؛ أيْ: ذلكَ القولُ، وهذا تَخلُّصٌ بذكْرِ شَأنٍ مِنْ شؤونِ المسلمينَ كفاهُمُ اللّٰهُ به بأسَ عَدوِّهم بعدَ يومِ أُحُد[1].

بَلَاغَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾:

وردَتْ كلمةُ (الناس) في هذه الآيةِ مرّتيْن:

مِنْ طُرُقِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي حَرْبِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِرْجَافُ بِالْأَخْبَارِ الزَّائِفَةِ

إحْدَاهُمَا: في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، والمرادُ بها: رَكْبُ عبدِ القَيْسِ، وكان معهم نُعَيْمُ بنُ مَسعودٍ الأَشْجَعِيُّ، ولم يكنْ قدْ أسلمَ قبلُ.

والأُخْرَى: في قولِه سُبحانَه: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾، والمرادُ بها: قُرَيْشٌ، وما جَمعُوهُ لِلمسلمين.

واستعمالُ لفظِ (النَّاس) في الموضِعَيْن مجازٌ مرسَلٌ، علاقَتُهُ العمُوميَّةُ؛ إذْ أُطْلِقَ العامُّ وأُريدَ به بعضُ أفرادِه.

ويجُوزُ أنْ يُرادَ بلفظِ النّاسِ في الموضعِ الأوَّلِ: نُعَيْمُ بنُ مَسعودٍ، وفي الموضعِ الآخَرِ: أبو سُفيانَ، فيكونَ شاهدًا على اسْتعمالِ النّاسِ بمعْنَى الواحِدِ، والآيةُ تَحتمِلُه، وإطلاقُ النَّاسِ عليه؛ لِمَا أنَّه مِنْ جِنْسِهم، وكلامُهُ كَلامُهُم[2]، ونُكْتَةُ هذا الإطلاقِ قصدُ الإبهامِ، ومِنْهُ قولُه تعالَى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النِّساء: 54]، والمُرَادُ بالنّاسِ هُنَا: مُحَمَّدٌ ﷺ[3].

ويجُوزُ أن تَكونَ نكتةُ المجازِ: الإشعارُ بكثرةِ الجمْعِ وظهورِهِ حتَّى كأنَّ النَّاسَ كُلَّهم يُخبرونَ عَنْهُ؛ رغبةً منهم في إدخالِ الرُّعْبِ والفزَعِ على أهلِ الإيمانِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/168 - 169.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 1/601، والشّوكاني، فتح القدير: 1/648 - 649.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/168 - 169.

وحُذِفَ مفعولُ ﴿جَمَعُواْ﴾ لإرادةِ العموم؛ إذْ إنَّ حَذْف المعمولِ مؤْذِنٌ بذلكَ، والعمومُ هنَا يُراد به عمومُ ما يُجْمَعُ عادةً في الحَرْبِ والقِتَال، والمعنَى: جَمعوا أنفُسَهم وعَدَدَهم وأحلافَهم، كما فَعلُوا يومَ بدرٍ الأوّل، ويجوزُ أن يكون حذف المفعولِ لأجل أن يذهبَ الذِّهْنُ كلَّ مذهبٍ في مقدار ما جمعوهُ من أسلحة ومالٍ ورِجَالٍ، فيكون ذلك أشدَّ في تخويفِهمْ[1].

دِلَالَةُ التَّأْكِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾:

قُـوَّةُ إِيـمَـانِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَثَبَاتُهُمْ أَمَامَ شِدَّةِ التَّخْوِيفِ

وفي تأكيدِ قولِهمْ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ بـ: (إنَّ)، و(قَدْ) زيادةٌ في التَّخويفِ والإرْجافِ، ولكنّه في مقابَلِ مَقامِ الثَّباتِ على الحقّ، والزِّيادةِ في الإيمَان، فأيُّ الفريقَيْنِ أحقُّ بالمَدْحِ، والكِفايةِ باللّه، والعَوْنِ مِنَ اللّه ؟!

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْخَشْيَةِ دُونَ الْخَوْفِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾:

ضَعْفُ الْعَزَائِمِ سَبَبٌ فِي تَرْكِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ

(الفاءُ) في قوله: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ عاطفةٌ لِربْطِ السَّبَبِ بالمُسَبَّبِ[2]، واختيرَ التَّعبيرُ بلفظِ (الخَشْيَة) دُونَ (الخَوْف)؛ لكونِ الخَشْيَةِ أليَقَ بالمقامِ، فهيَ أشدُّ وَقعًا وأثَرًا مِنَ الخَوْف، فالمقامُ هنا مَقامُ زَرْعِ الرُّعبِ في قُلوبِ المسلمين؛ لِتَنْهَارَ عزائمُهم وتَخُورَ قُواهُم، فَيقعُدوا عن قتالِ المُشركين.

وفي اختيارِ لفظ الخشيةِ إيهامٌ مِنْهُمْ بأنَّ خوفَهم مِنْهُم أمرٌ لازِمٌ لانْبِنَائِهِ على موجبِ الخوفِ وهو قوَّةُ المَخُوفِ، فكأنَّهم ذكرُوا الحُكْمَ مقرونًا بحُجَّتِهِ.

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1510.
(2) صافي، الجدول: 4/377.

دِلَالَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾:

الإيمانُ شَرْعًا يَزِيدُ وَيَنْقُصُ

الفاءُ في ﴿فَزَادَهُمْ﴾ عاطفةٌ[1]، والمرادُ أنَّهم لم يَلْتفِتُوا إلى مَقُولةِ ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾؛ بل ثبتَ يقينُهم باللهِ تعالَى، وازدادَ اطمئنانُهم، وأظهرُوا حَمِيَّةَ الإسلام، وأَخْلصُوا النِّيَّةَ للهِ[2].

وفي قوله سُبحانه: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ما يقرُبُ من قلب النُّكْتَةِ؛ وهو الاحتجاجُ بدليل الخصم على نقيضِ دعواهُ، وذلك أنَّهم أردُوا بقولهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ تثبيطَهُمْ عن الخروجِ للجهادِ، فكان ذلك سببًا في تحريضِهم علَيْهِ[3].

وقولُهُ: ﴿فَزَادَهُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ، وفاعلُهُ مستترٌ، والتَّقديرُ: فزادَهُمُ القولُ[4]، وفي هذا: بيانُ حقيقةٍ مُهمّةٍ جِدًّا؛ وهي أنَّ الإيمانَ يزيدُ ويَنقُصُ، يزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقُصُ بالمَعصيةِ[5]، وازديادُ اليَقينِ بالإلفِ، وكَثرةِ التَّأمُّلِ، وتَناصُرِ الحُججِ ممّا لا رَيْبَ فيهِ، وبهذا التَّقريرِ العَقَديّ، رَسمتْ لنا الآيةُ الكَريمةُ صُورةَ ثَباتِ الصَّحابةِ ﷺ وكَمالِ يَقينِهِمْ باللهِ تعالَى، وحَميّتِهِمُ الإيمانيَّةِ القَويّة؛ حَيثُ لم يَرْكَنُوا لِتثبيطِ المُثبّطين، وفُتورِ هِمَمِ المنافقين.

دِلَالَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾:

الحَسْبَلَةُ دُعَاءٌ يُدْفَعُ بِهِ الْبَلَاءُ وَتُجْلَبُ بِهِ النَّعْمَاءُ

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: كلمةٌ أُلْهِمُوهَا، أوْ تلَقَّوْها عنِ النّبيِّ ﷺ، والمعْنَى: مُحْسِبُنا اللهُ وكافِينا؛ مِن: أحسَبَهُ إذا كَفَاهُ، والدّليلُ على أنّه بمعنَى المُحسِب: أنّه لا يَستفيد بالإضافة تعريفًا في قولِكَ:

(1) صافي، الجدول: 4/377.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/601.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/444.
(4) العُكبَرِي، التبيان: 1/158.
(5) الإيمانُ: قولٌ، وعملٌ، ونيّة (اعتقادٌ)، يَزيدُ بالطّاعة، ويَنقُصُ بالمعصيةِ، ولا يَصِحُّ القولُ إلاّ بالعمل، ولا يَصِحُّ القولُ والعملُ إلاّ بالنِّيّة، ولا يَصِحُّ القولُ والعملُ والنِّيّةُ إلّا بموافقة القرآن والسُّنة النَّبويّة، وهذه الحقيقة محلُّ إجماعِ علماءِ الأُمّة. ينظر: ابن تيمية، الإيمان، ص: 313، والآجرّي، الشّريعة: 2/580.

هذا رَجلٌ حَسبُكَ، فَتصِفُ به النَّكِرةَ؛ لأنَّ إضافتَه - لِكونِه في معنى اسْمِ الفاعلِ - غيرُ حقيقيَّة[1].

وجُملةُ: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، معطوفةٌ على حسبُنا اللهُ في كلام القائلِين، فالواوُ في المَحْكيِّ لا مِنَ الحِكايَة، وهو مِنْ عَطْفِ الإنْشاءِ على الخَبَرِ، الّذي لا تُطلبُ فيه إلّا المُناسَبَةُ، والأصحُّ أنَّه من عطفِ الإنشاءِ على مثلِه؛ إذْ إنَّ (حسبُنَا اللهُ) جملةٌ خبريَّةٌ في اللَّفْظِ إنشائيَّةٌ في المَعْنَى؛ لكون المرادِ مِنْهَا الدُّعاءَ[2]، والمعتبَرُ في باب الوصل والفصلِ هو معاني الجُمَلِ لا مجرَّدُ ألفاظِهَا.

و﴿وَنِعْمَ﴾ فعلٌ ماضٍ جامدٌ لإنشاءِ المَدحِ، والمَخصوصُ بالمدحِ مَحذوفٌ؛ أيْ: نِعمَ الوَكيلُ اللهُ سُبحانَه وتعالَى.

و﴿ٱلْوَكِيلُ﴾: صِفةٌ مُشبَّهةٌ، مِنْ وَكَلَ يكِلُ، وزنُه فَعِيلٌ[3]، وهو فَعيلٌ بمعنَى: مفعولٌ؛ أيْ: موكولٌ إليه، يُقالُ: وَكَلَ حاجتَهُ إلى فُلانٍ، إذا اعْتمدَ عليه في قَضائِها وفَوَّضَ إليه تَحْصيلَها، ولذلكَ كانَ مِنْ أسمائِه تعالَى: (الوَكيلُ)؛ وَأُطلِقَ على هذا المعنَى أيضًا اسْمُ (الكَفيلُ)، في قولِه تعالَى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النَّحل: 91][4].

وقدْ حَمَلَ الزّمخشريُّ (الوكيل) على ما يَشمَلُ هذا عندَ قولِه تعالَى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: 102]، فقالَ: "وهو مالكٌ لكلِّ شيءٍ مِنَ الأرزاقِ والآجالِ، رقيبٌ على الأعمالِ؛ وذلكَ يدُلُّ على أنَّ الوكيلَ: اسْمٌ جامعٌ للرَّقيبِ والحافظِ في الأمورِ التي يُعنَى النَّاسُ بِحفظِها ورَقابَتِها وادِّخارِها، ولذلكَ يتقيَّدُ، ويَتعمَّمُ بحَسَبِ المَقامات"[5].

وفي تقديمِ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ على ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ حِكمةٌ جليلةٌ، وهي أنّ الّذي يَكْفي الإنسانَ كلَّ شيءٍ، هو الَّذي يُتوكَّلُ عليه ويُعتمَدُ عليه في كلِّ شَيْءٍ، وهو اللهُ تعالَى لا أحَدَ غيرُه، والإنسانُ العاقلُ لا يَكِلُ أمورَه لأَحَدٍ، ولا يُوكِّلُه في القيامِ بها إلّا بعدَ أن يَعلمَ يقينًا أو يَغلِبَ على ظنِّه أنّه قادرٌ على أدائها خيرَ أدَاء، فما الظنُّ باللهِ تعالى؛ وهو علَّامُ الغُيوبِ، ليسَ لقُدرتِه وكِفايتِه لعبادِه مُنْتَهَى.

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 1/481.
(2) ابن تيمية، الرد على الشاذلي في حزبيه، ص: 99، وابن عثيمين، مجموع الفتاوى والرسائل: 9/173.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/170، وصافي، الجدول: 4/377.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/171.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/41.

وفي جعلِ الفِعْلِ (نِعْمَ) صدرَ جملةِ ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ وهو فعلٌ لإنشاءِ المَدحِ؛ تَحفيزٌ وترغيبٌ للتّوكُّلِ عليه ﷻ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الاسْتجابة والإجابَة والطَّاعة[1]:

الاستِجابَةُ: قَبولٌ لِمَا دَعَاكَ إليه، ولِذا وَعَدَ اللّهُ سُبحانهُ وتَعالَى الدَّاعينَ بالاسْتجابةِ في قولِهِ سُبحانَه: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: 60]، والمُسْتجيبِينَ بالحُسْنَى في قولِهِ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [الرّعد: 18]. أمّا (الإجابةُ) وهي: مُوافَقةُ الدّاعي إلى الفِعلِ، مِن أجلِ أنّهُ دَعَا به، فيَجوزُ أنْ يُجيبَ بالمُخالَفة؛ كما يقولُ السّائلُ: أَتُوافِقُ في هذا المَذهَبِ، أمْ تُخالِفُ؟ فيَقولُ المُجيبُ: أُخالِفُ. ولا تكونُ إجابةٌ إلَّا بأنْ تُفعلَ لِمُوافقةِ الدُّعاءِ بالأَمرِ ومِنْ أَجْلِه، وأمّا (الطّاعةُ) فهي: مُوافقةُ الإرادةِ الحادِثةِ للفِعلِ برَغبتِه، أوْ رَهْبتِه، وهي تكونُ مِنَ الأدْنَى للأَعْلَى؛ لأنَّهَا في مُوافقَةِ الإرادةِ الواقِعةِ مَوقِعَ المَسألَة، ومِنْ بيانِ الفُروقِ بينَ تلْكُمُ المُفرَدات، نَجِدُ أنَّ أَلْيَقَها بالمَقامِ اسْتخدامُ الفعلِ ﴿ٱسْتَجَابُواْ﴾؛ فإنّ اللّه ناداهُمْ ودَعاهُمْ لِلجهادِ في سبيلِه؛ فَلَبّوا النّداءَ، وقَبِلُوا الدَّعوةَ، ولم يُخَالفُوا، ووَافقُوا إرادةَ اللّه؛ فَقامُوا بالفِعلِ رغبةً بِرضَى اللّه، وبِما أعَدّهُ لهُم مِنْ جَزيلِ الأَجْر، ووُفُورِ الرِّزق، وعَظيمِ الفَضلِ.

القَرْح والجُرْح:

(القَرْحُ): الأَثَـرُ مِنَ الجِراحةِ، مِنْ شيءٍ يُصيبُه السِّلاحُ ونَحوُه مِنْ خارِجٍ، يُقالُ: قَرَحْتُهُ، نَحْوُ: جَرَحْتُهُ، وقَرِحَ: خرجَ به قَرْحٌ؛ ويُقالُ: القَرْحُ لِلجِراحة، والقُرْحُ لِلألَم، كما قالَ تعالَى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ﴾ [آل عمران: 140][2]، وقُرِئَ بالضَّمِّ[3]، و(الجُرْحُ): أثَرٌ دامٍ في الجِلدِ، يُقالُ: جَرَحَهُ جُرْحاً؛ فهوَ جَريحٌ، قال تعالَى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ [المائدة: 45]، والجَمعُ (جُروحٌ)، ولم يَقولُوا: جِراحٌ إلَّا في الشِّعْر، وسُمِّيَ

(1) أبو هلال، الفروق اللغوية، ص: 34 - 35، ص: 44 - 45، والجرجانّي، التّعريفات، ص: 145.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 165، والفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (قَرَحَ).
(3) قرأ بالضّم أبو بكر شعبة عن عاصم، وحمزة، والكسائي، وخَلَف، وقرأ الباقون من السَّبعة والعشرة بالفتح، وهما لغتان، وينظر: محمّد كُرَيِّم راجح، القراءات العشر المتواترة، ص: 72، والرّاغب، المفردات، ص: 165.

القَدحُ في الشَّاهدِ جَرحًا تَشبيهًا به، وسُمِّيت الأعضاءُ الكَاسيةُ جَوارحَ؛ إمّا لأنَّها تَجرَحُ، وإمّا لأنَّها تَكسِبُ تَشبيهًا لها بالسِّباعِ والطُّيورِ الجارِحةِ، والاجْتراحُ: اكْتِسابُ الإثمِ، وأَصلُهُ مِنَ الجراحة، قالَ تعالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: 21][1]، ومِنْ خلالِ اسْتِعراضِ الفَرْقِ بَيْنَ الكَلِمتَيْنِ (القَرْح) و(الجُرْح)؛ نَجِدُ أنَّ إيرادَ البَيانِ الإلَهيِّ لِكلمةَ (القَرْح) في سِياقِ الآيةِ القُرآنيَّةِ أَوْلَى بالمَقام؛ فإنَّ القَرحَ خاصٌّ بِمَفهومِ الجِراحة، الّتي تُصيبَ البَدَنَ مِنْ خَارجِه، وأَثَرِها عليه، وأمّا (الجُرْحُ) وإنْ كانَ يَدخُلُ في مَعنَى (القَرْحِ)، إلَّا أنَّ مَفهومَه ودِلالاتِه أَوسعُ وأَشْمل، ولا حاجةَ لنا بِها في مَقامِ السِّياقِ القُرآنيّ.

الخَشية والخَوف:

سَبقَ بيانُ الفَرْقِ بين هاتَيْنِ الكَلمتَيْنِ، والمَقامُ السّابقُ في قولِه تعالَى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ناسَبهُ ذِكرُ (الخَوْفِ)، وأمّا ذِكرُ (الخَشْيَةِ) فهو في هذه الآيةِ أَليَقُ بالمَقامِ؛ الَّذي هو زرعُ الرُّعبِ في قُلوبِ المسلمينَ مِنْ قِبَلِ الكافرين؛ كي تَنْهارَ عزيمتُهُمْ، ويتقاعسواْ عَنِ الذّهابِ لِمُلاقاةِ المشركينَ وقِتَالِهم، فلا تَزهَقُ نُفوسُهم، وتَهلِكُ أبدانُهم، كَما هو مُقْتَضَى مَعنَى (الخَشيةِ).

الجَمْع والحَشْر:

(الجَمعُ): ضَمُّ الشَّيءِ، بتقريبِ بَعضِه مِنْ بَعْضٍ بَعْدَ التَّفرُّق؛ يُقالُ: جَمعْتُهُ فاجْتَمعَ، قالَ تعالَى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: 9]؛ وقال سُبحانَه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود: 103]؛ أيْ: جُمِعُواْ فيه، و(الجُمَّاعُ): يُقالُ في أَقْوامٍ مُتفاوتَةٍ اجْتَمعُواْ، ويُقالُ: أَجْمَعَ المُسلِمونَ على كَذا؛ اجْتَمعتْ آراؤهُمْ عليه[2]، وأمّا (الحَشرُ): فهو الجَمعُ مَعَ السَّوْق؛ كَما في قولِه تَعالَى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ۝٣٦﴾ [الشعراء: 36]؛ أيْ: ابْعَثْ مَنْ يَجمَعُ السَّحَرَةَ، ويَسوقُهمْ إليكَ، ومِنهُ يَوْمُ الحَشرِ؛ لأنّ الخَلقَ يَجتمِعونَ فيه، ويُساقُونَ إلى المَوقِف[3].

(1) الراغب، المفردات، ص: 190 - 191، والفيروزآبادي، القاموس: (جَرَحَ).
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 201، وأبو هلال، الفروق اللغوية، ص: 188.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 188، والفيروزآباديّ، القاموس: (حَشَرَ).

وضـمُّ المقَاتلِينَ واجْتماعُ آرائهم يُـوافـقُـهُ ذِكْـرُ الفِعلِ (جمعوا)

وممّا تَقدَّمَ يَتّضِحُ لنا أنّ إيرادَ الفعلِ ﴿جَمَعُواْ﴾ أنْسبُ مِنَ الفعلِ (حَشروا) مِنْ حَيْثُ سِياقُ النّصِّ القُرآنيّ؛ فإنَّ المشركينَ بقيادةِ أبي سُفيانَ، قدْ ضَمُّواْ مُقاتليهم بَعضِهم مِنْ بَعْضٍ، بَعْدَ تَفرُّقِهِمْ فاجْتَمَعُواْ لِلْعَوْدِ، وقِتالِ المسلمين؛ واجْتمعَتْ آراؤُهُمْ على العَوْدِ، والانتقامِ مِنَ المسلمين؛ لأنَّهم أيقنُواْ أنّهُمْ لم يُحقّقُواْ أَهدافَهُمْ مِنَ الثَّأْرِ لِقتْلاهُمْ في بَدْرٍ، كَما كانُواْ يُخطِّطونَ ويَتآمَرون، فَنَصْرُهُمْ كانَ نَاقِصًا غيرَ مُكتَمِلٍ.

الحَسيب والكَافِي والكَفِيل:

يُقالُ: حَسْبُهُ اللّه؛ أي: كَافيه، وكَفيلٌ بِه، وحَسْبُهُ فُلانٌ، أوِ الشّيْءُ؛ أي: كَافيه، وكَفيلٌ به، كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال: 62]، والحَسيبُ: المُحاسِبُ، أو الحَسيبُ: الكَافي، مَأخوذٌ مِنْ قَولِكَ: أَحْسَبَني الشَّيءُ؛ أيْ: كَفَاني، ومِنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا ٣٦﴾ [النبأ: 36]؛ أيْ: كَافِيًا[1]، وأمّا (الكافي): فمن الكفاية، وهي ما فيه سَدُّ الخَلَّة، وبُلوغُ المرادِ في الأَمْر، قالَ تَعالَى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ [الأحزاب: 25]، وقالَ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾ [الحجر: 95]، وقال ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٧٩﴾ [النّساء: 79]، ومَعناهُ: كَفَى اللّهُ شَهيدًا، أوْ مَعناهُ: اكْتَفِ باللّهِ شَهيدًا، ويُقالُ: كَافيكَ فُلانٌ مِنْ رَجُلٍ، كَقولكَ: حَسْبُكَ مِنْ رَجُل[2].

واللّفظ الآخر هو (الكفيل)، وهو من الكفالة، وتعني الضَّمان، تَقولُ: تكَفَّلْتُ بكذا، وكَفَّلْتُهُ فُلانًا، والكَفيلُ: الحَظُّ الَّذي فيه الكِفايةُ، كأنَّ اللّه تَكفّلَ بأمرِه، نَحْوُ قوله تَعالَى: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ [ص: 23]؛ أيْ: اجْعَلني كِفْلًا لَها، والكِفْلُ: الكَفيلُ، قالَ: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد: 28]؛ أيْ: كَفلَيْنِ من نِعمته في الدُّنيا والآخِرة، أو أنَّ

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 34، والجمل، معجم وتفسير لغويّ لكلمات القرآن: 1/393 - 394.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 719.

المرادَ: النِّعمةُ المُتواليةُ المتكفّلةُ بكفايتِه، والكَفَالةُ تَكونُ للنّفْس؛ كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: 37][1].

وممَّا سَبقَ بيانُهُ يَظهرُ لنا جَليّاً أنَّ (الحَسِيبَ) يَجمَعُ مَعانيَ الكَلمتَيْنِ (الكَافي) و(الكَفِيلِ) جَمْعًا تامًّا، حَصرًا وقَصرًا، فَلا يَفِي بالغَرَضِ المُرادِ مِنَ السِّياقِ القُرآنيِّ إلَّا اسْتعمالُ كَلمَةِ ﴿حَسْبُنَا﴾ وكَفَى[2].

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 717، والعسكريّ، الفُروق اللغوية، ص: 453 - 454.

(2) ونشير هنا إلى إيرادِ كَلمةِ (الوَكيلِ)، وخاصَّةً بَعْدَ الفِعلِ (نِعْمَ)، فيقال (نعم الوكيل)، وهو لفظٌ يُفيدُ المدْحَ والثَّناء، ولا تَنزِلُ مَنزِلَتَهُ كلمةُ (الحَسِيب) أو: (الكَافِي)، أو (الكفيل)،، فلا يُمكنُ أنْ يَتدبَّرَ أمرَ الخَلقِ إلَّا مَنْ خَلَقَهُم، وهو المالِكُ لهُم، الرَّحيمُ بهم، ولا يُعتمَدُ اعْتمادًا كُلِّيًّا إلَّا على مَنْ بيدِهِ مَقاليدُ كُلِّ شَيْء، العليمِ الحكيمِ بكلِّ شَيْء، والوَكيلُ: اسمٌ مِنْ أسماءِ اللهِ الحُسْنَى، والوَكالةُ صِفةٌ مِنْ صفاتِ اللهِ بمَعْنَى: المُتَوَلِّي، القَائمُ بِتَدبيرِ خَلْقه، ولأنَّهُ مَالِكٌ لهُم، رَحيمٌ بِهِم، والتَّوكيلُ: أنْ تَعتمِدَ علَى غَيرِكَ، وتَجعلَهُ نائبًا عنك، فتكْتَفِي بِهِ أنْ يَتولَّى أمرَكَ ويَتوَكّلَ لك، والتّوكُّلُ يُقالُ على وَجهَيْنِ، الأوَّلُ: يُقالُ: توكّلْتُ لِفُلان، وبمعنَى: تولَّيْتُ له، ويُقالُ: وكَّلْتُهُ فتَوكَّلَ لِي، والثَّاني: وتوكَّلْتُ عليه، وبمعنَى: اعْتَمدْتُه، وقال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [التّوبة: 51]، وقالَ تعالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطّلاق: 3]. ينظر: الرّاغب، المفردات، ص: 182، والعسكريّ، الفُروق اللغوية، ص: 577.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»